



رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (500)



قوله تعالى: رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

عَدَى وَلَا نَبَا

وَلَا تَسْئَلُونَا مَا صَلَاحُ عَدَائِكُمْ

أَعْدَاكُمْ عَزَمِي إِبْرَاهِيمَ عَزِيزٍ

1

- 7- حيرة عظيمة لمن خسر نفسه وأهله يوم القيامة.
 - 8- حيرة المكذبين بلقاء الله ويوم القيامة.
 - 9- حيرة المشركين لعلم اتباعهم ما أنزل من القرآن.
 - 10- حيرة من جانب طريق الهداية والتقوى.
 - 11- حيرة المفكرين عند رؤية العذاب.
 - 12- حيرة الظالمين بمختلف أصنافهم.
 - 13- حيرة الظالمين عند رؤية العذاب، وعدم تمكنهم من الافتداء والتحلل من الظلم.
 - 14- حيرة من صبح ماله في الدنيا ولم ينفع منه في سبيل الله؛ عند معاينة الموت.
 - 15- حيرة أهل النار عند معاينتهم وإذقهم أشد العذاب، مطالبين بهم بالخروج منها والرجوع للديناء ليعملوا الصالحات، لكن هيهات!.
 - 16- حيرة أهل النار عندما يناديهم أصحاب الجنة وقد فازوا بالنعيم المقيم.
 - 17- حيرة أهل النار بعد طليهم من أهل الجنة شرب الماء والطعام.
 - 18- حيرة أهل النار بعد نذائهم خزنة جهنم وطلب التخفيف من العذاب.
 - 19- حيرة أهل النار بعد جواب مالك خازن النار لهم بأنهم خالدون ماكنون فيها بلا موت.
 - 20- حيرة الكفار على الأموال التي أنفقوها للصد عن سبيل الله.
 - 21- حيرة الإمعان اتباع كل نافع، المقلدين المعصيين لغيرهم دون بينة أو برهان، عندما يتخلى عنهم ويتبرأ منهم المتويعين.
 - 22- المقلدون الطاعون لأسياهم وكرامتهم ومنظرهم ورؤسائهم، يتحسرون لأنهم أبقوا ما كانوا فيه من ضلال.
 - 23- الحيرة على أعمال محدثة ومبتدعة تخالف الشريعة.
 - 24- أعمال الكفار يتحسرون عليها لأنهم فقدوا أصل الإيمان والتوحيد.
 - 25- الأعمال التي لم تكن خالصة لوجه الله يتحسر عليها أهلها لأنها ذهبت سدى وهباء.
 - 26- المناققات والمناققات يتحسرون لعدم تمكنهم من اقتباس نور أهل الإيمان يوم القيامة.
- والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

6

القولاء :

- 1- تقريراً ربانياً يتضمن معنى الإنذار بأنه سيأتي على الكفار يوم يتمنون فيه لو كانوا مسلمين ندماً على ما كان منهم وتقادياً من العذاب الذي عرفوا أنه واقع عليهم.
- 2- إنذار الكافرين وتخديرهم من مواصلة كفرهم وجرمهم للإسلام فإن يوماً سيأتي يتمنون فيه أن لو كانوا مسلمين.
- 3- ود الذين كفروا عند ما تكشف لهم الحقائق، فيعرفون أنهم على الباطل، وأن المؤمنين على الحق، أن لو كانوا مسلمين، حتى ينجوا من الجحيم والعقاب.
- 4- الكفار سيندمون يوم القيامة على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا في الدنيا مسلمين.
- 5- الحيرة: شدة التلهف والتلمم والتأسف، على ما فات ومضى، وهو تعبير عن الحزن لمصاب وقع، ومن أتماء يوم القيامة " يوم الحيرة".
- 6- قال تعالى: وَأَلَدْرُهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [5]. وأي حيرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار، على وجه لا يمكن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟
- 7- أما حسرات الكفار والجرمين والعصاة والظالمين المفكرين يوم القيامة عديدة ومتنوعة، هي عذاب معنوي أشد من العذاب الجسدي والحسي، من ذلك:

1- حيرة أهل النار.

2- حيرة الكفار وتمنيهم الموت يوم القيامة.

3- حيرة أتباع الشيطان الذين استجابوا لفرغته ووساوسه، عندما يتخلى عنهم في النار.

4- حيرة الجرمين منكسي رؤوسهم عند معاينة العذاب.

5- حيرة وندم المفكرين عند معاينة الموت.

6- الكافر يوم القيامة يرى أنه لم يلبث في الدنيا إلا قليلاً فيحسر على ذلك.

5

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2)

(سورة الحجر)

شرح الكلمات:

{رَبِّمَا} يتخيف الباء وتشديدها؛ وقرئ بها

{يَوْمَ} بمعنى

{الَّذِينَ كَفَرُوا} حين يروا العذاب يوم القيامة

{لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} أي لو كانوا أسلموا في الدنيا، ونحو ما هو من هذا العذاب

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى: {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين} : يخسر تعالى أن يوماً سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة ويدخل هو النار يود يومئذ متمنياً أن لو كان من المسلمين. وقد تحدث الله تعالى طرولاً في الدنيا وأمروراً بمعنى الكافر فيها لو كان من المسلمين.

2

- 2- عض الأيدي: إنما خطأت الحيرة والندم عندما يستيقن الإنسان وهو في أرض القيامة إن صاحبه الذي كان يصاحبه قد خذله ولم يكن معه من الله شيئاً .
- 3- عند عرض الأعمال: عندما ما يوضع كتاب الأعمال ويرى كل إنسان ما قدم وأخر، يتفاجأ صاحب المعصية بما في كتابه.
- 4- عند مجيء النار: روى مسلم في صحيحه بسنده إلى رسول صلى الله عليه وسلم قال (" يوقى بالنار يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ")
- 5- بعد إقامتهم في النار: يقول الله تعالى ((يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ)
- 6- الندم في يوم القيامة يشمل المؤمنين أيضاً، لكن ندمهم هو مختلف عن ندم الكفار والفاسقين، فندم المؤمنين هو لعدم الاكتراث بالعمل الصالح وعدم الحصول على الدرجات العليا من الجنة، وندم الكفار هو نتيجة ما فرطوا في جنب الله واستحقوا نار الجحيم.
- والخلاص جميعاً سيجمعهم الله تعالى في يوم تشيب له الولدان، وتتصدع فيه القلوب وتتشقق له الأبدان، في مشهد مهول، وأحوال فظيعة، وأوقات عصيبة، ومواقف عظيمة: (يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَهْلِكُ كُلُّ مَرْجِعَةٍ عَنَّا أَرْجُفَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَيٍّ يَدَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [1].
- الناس يوم القيامة صفان، إما آمنون كما في قوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَوَلَّيْنَا لَهُمْ أَجْرَهُمْ وَهُمْ لَمْ يَحْزَنُوا} [2]. هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة [3]. (لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) [4]. والصنف الآخر: خائفون نادمون متحسرون بحزمهم الفرع الأكبر.

4

- إذن: فسيأتي وقت يتمنى فيه الكفار أن يكونوا مسلمين، إذاً ما عابوا شيئاً ينزع منهم جودهم وعنادهم، ويقول لهم: إن الحياة التي كنتم تتمسكون بها فانية؛ ولكنكم تطلبون أن تكونوا مسلمين وقت أن زال التكليف، وقد فات الأوان.
- ويكفي المسلمين فخراً أن كانوا على دين الله، واستمسكوا بالتكليف، وبكفيكم عاراً أن خسرتم هذا الحسرات المين، وتحسروا على أنكم لم تكونوا مسلمين. ويسمى الكفار حين يرون خروج عصاة المؤمنين من النار أن لو كانوا موحدين؛ ليخرجوا كما خرجوا.
- قال ابن كثير رحمه الله :
- " هذا إختار عَنْهُمْ سَيِّئَتُهُمْ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ كَانُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا. وَنَقَلَ الشَّيْخُ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِبْنِ مَسْرُودٍ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ: أَنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا غُرِضُوا عَلَى النَّارِ، تَمَنَّوْا أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.
- وقيل: المراد أن كل كافر يؤذ عند اختياره أن لو كان مؤمناً.
- فالأسلوب الذي يتهددهم الله به بقوله: ﴿ رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: 2] يهدم كل ذلك من غرورهم وهم مخادعون لأنفسهم، ويدعوهم إلى سرعة المبادرة إلى اليقظة من غفلتهم، والإفاقة من هُومهم، فإن عذاب الله واقع، ما له من دافع، ولكنهم في ضلالهم وغفلتهم ينجس الشهوات البهيمية وفؤهم بعمهون.
- وبدل أيضاً - والله أعلم - على أن العذاب سيقع بما قليلاً وشيئاً فشيئاً، لعلهم يفيقون ويتراجعون، ثم تكون الواقعة القاضية عليهم، إن لم يتوبوا إلى رُشدهم من العذاب الأدنى.
- صور الندم يوم القيامة التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة و منها:
1. القيامة الأولى:
- وتعني بالقيامة الأولى التي يواجهها الإنسان الموت ويبدأ الندم عند اللحظات الأخيرة من عمره عندما يستيقن بخروج روحه من جسده ((وَعَلَى آتِهِ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَتْنَا النَّافِىَ وَالتَّافِىَ* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنَاقَى)).

3